مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة الثانية والعشرون – العدد 69 – 30-05-2025م

Volume 22 - issue no. 69 - 30/05/2025

Pages: 105 -132 الصفحات: 105-132

الآيات الجامعة لأسباب النصر والتمكين في سورة الأنفال

دراسة وتحليل

The Comprehensive Verses Outlining the Causes of Victory and Empowerment in Surah Al–Anfal– A Study and Analysis

د. مسعد بن مساعد بن حضيرم الحسيني

Dr. Mis’ad bin Musa’id bin Hidhayram Al-Husseini

الأستاذ المشارك بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة

Associate Professor at the College of the Qur'an and Islamic Studies in Madinah

Email: mosed.m.h@hotmail.com

Date of Receipt - 2025/02/5 تاريخ الاستلام -

Date of Acceptance - 2025/02/12 تاريخ القبول -

اعتمادات

مسعد بن مساعد بن حضيرم الحسيني
الأستاذ المشارك بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة

Dr. Mis'ad bin Musa'id bin Hidhayram Al-Husseini
Associate Professor at the College of the Qur›an and Islamic Studies in Madinah
mosed.m.h@hotmail.com

الآيات الجامعة لأسباب النصر والتمكين في سورة الأنفال
دراسة وتحليل

The Comprehensive Verses Outlining the Causes of Victory and Empowerment in Surah Al-Anfal-
A Study and Analysis

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٢/٥ / تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٢/١٢

ملخص البحث

إن من سنن الله الجارية ربط المسببات بأسبابها، ومن أهم الضروريات للأمة معرفة أسباب النصر وما يستتبعه من التمكين للأمة، وقد بين الله لعباده في كتابه أسباب النصر، ومنها ما تضمنته سورة الأنفال، التي تتحدث عن معركة الفرقان (بدر الكبرى)، التي أعز الله فيها دينه، ونصر أولياءه.

وقد عالج البحث تلكم الأسباب، التي تتمثل في الثبات بجميع أنواعه ؛ ثبات القلوب، والأقدام، والمناهج، والقيم، وذكر الله تعالى بالحال والمقال، وعموم طاعة الله ورسوله في كل شؤونهم، وخصوصاً ما هم بصدده مما يتعلق بلقاء الأعداء، والحذر من التفرق والاختلاف، المفرق للجماعة، الموهن للعزم، المصدع للأمة، المديل لأعدائها عليها، كل هذا مع الإخلاص لله، وحسن القصد له، والتوكل عليه، والبعد عن قوادح الأعمال من رياء وسمعة، وإيراد أقوال المفسرين المبينة عن معنى هذه الأسباب في تفسيراتهم، مع بيان ما يندرج تحت كل سبب من أسباب النصر، وآثار ذلك على المجاهدين بخاصة ، والأمة بعامة، وبالله التوفيق.

الكلمات المفتاحية : الآيات ، الجامعة ، النصر ، التمكين ، الأنفال .

Research Summary

One of the established laws of Allah is linking causes to their effects. Among the most critical necessities for the Muslim Ummah is understanding the causes of victory and the subsequent empowerment of the nation. Allah has clearly outlined these causes in His Book, particularly in Surah Al-Anfal, which addresses the Battle of Badr (the Criterion), where Allah honored His religion and granted victory to His allies.

This research analyzes the causes of victory as detailed in Surah Al-Anfal, focusing on steadfastness in all its forms-steadfastness of the heart, the feet, methodologies, and values-along with the remembrance of Allah in words and actions, and comprehensive obedience to Allah and His Messenger in all matters, especially in matters related to confronting enemies. It also emphasizes the importance of avoiding division and discord, which disrupt unity, weaken determination, fracture the nation, and empower its enemies.

The study further highlights the necessity of sincerity to Allah, pure intention, reliance upon Him, and avoiding detrimental actions such as hypocrisy and seeking reputation. It references the explanations provided by scholars and interpreters regarding these causes, elaborating on what falls under each cause and discussing their effects on the Mujahideen specifically and the Muslim Ummah generally.

And success is only through Allah.

Keywords: Comprehensive Verses, Causes of Victory, Empowerment, Al-Anfal

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الذي أنزل على عبـده الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألبـاب، والصلاة والسلام علـى نبينا محمد المأمور مـن ربه بالبلاغ والبيان، صلى الله عليه وعلـى آله وصحبه أولي الفضل والإحسان

أما بعد:

فـإن كتاب الله تعالى منهـج حياة، وحبل نجاة، وطريق سعادة، قد اعتنى بتنظيم حياة العبد في سلمه وحربه، وبين له أسباب تحقيقه مراده، ببيان سنة الله الكونية ومنهجه الشرعي لتحقيق ذلـك ؛ ومـن ذلك ما يتعلـق بأسباب النصر التي يحتـاج المسلم لمعرفتهـا وتحقيقها، لتتحقق له ثمرتهـا من نصر وعز، خصوصاً في ظل اشتداد العداوة بين الحق والباطل، واضطرار المسلمين فـي كثيـر من الأحيان في هذه الأزمان للدفاع عن حقوقهـم ومكتسباتهم، فأحببت أن ألقي الضوء

علـى مـا ذكر العليم الحكيم سبحانه فـي كتابه من أسباب النصر ، وذلـك من خلال هذا البحث الموسـوم ب (الآيات الجامعـة لأسباب النصر والتمكين في سورة الأنفـال) والله أسأل أن يكون إضاءة قرآنية تستضيء بها الأمة ، لتحقيق النصر في مواجهاتها.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع فيما يلي:

١. الحاجـة الماسة لمعرفة أسباب النصر والتمكين التي يجـب أن يتحلى بها المسلم لينال النصر والتمكين.

٢. أنـه يلفت النظر إلى وجوب ربط الأمـة بكتاب ربها تعالى، وانطلاقها منه في تصرفاتها، فهو كتاب هدايتها، وسبب نصرتها، وعزتها.

٣. مـا يتضمنه من التسبب فـي هزيمة الأمة بسبب ترك أسبـاب نصرها، واتباعها لمبادئ ومفاهيم، وقيم غريبة على دينها، مجانبة لرسالتها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق أهداف سامية، منها:

١. بيان كفاية القرآن بمتطلبات العباد، وسبب عزتهم في الدنيا والآخرة.

٢. لفت النظر إلى حضور علماء الإسلام عموماً، وعلماء التفسير خصوصاً، وعنايتهم بربط الأمة بكتاب ربها، وتشخيص أدوائها، وبيان دوائها.

٣. المساهمة في بيان معالم خارطة طريق النصر والتمكين من خلال آيات الكتاب المبين.

٤. رفد المكتبة الإسلامية بكتب المعالجات الواقعية، ممكنة التنفيذ، بعيداً عن التنظير.

حدود البحث:

يدرس البحث أسباب النصر والتمكين من خلال ما جاء في سورة الأنفال من الآية الخامسة والأربعيـن إلى نهاية الآيـة السابعة والأربعين، وما بين العلماء من تفسيرها ومعانيها وفوائدها في كتب التفاسير المعتمدة، وما يخدم المادة العلمية المحددة من كتب العلماء غيرها.

الدراسات السابقة:

لا شـك أن موضوعاً حيوياً كهـذا تمس الحاجة لبيان معالمه وحـدوده، وقد ألف العلماء فيه وكتبوا سواء في مؤلفات مستقلة أو في خطبهم وكلماتهم .

إلا أن ما وقفت عليه إما يبحث في عموم فقه النصر والتمكين ككتاب (فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم) لعلي بن محمد الصلابي أو في خطب وكلمات عامة.

فحاولت التركيز في معالجة الموضوع من خلال آيات رأيتها جامعة، وعالجت الموضوع وفق

منهجيــة متخصص فــي الدراسات القرآنية لبيان ذات الموضوع من ناحيــة ، وبيان كفاية القرآن وإعجازه المتمثل في إيجازه، وجوامع كلمه من ناحية أخرى.

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث فيما يلي:

هل في كتاب الله بيان ما يتعلق بالسياسة الحربية العسكرية وفق منظور شرعي ؟

ما هي الأسباب الحقيقية لتحقيق نصر المسلمين في مواجهاتهم ؟

كيف يمكن تطبيق تلك الأسباب في واقع المسلمين اليوم ؟

ما الآثار السلبية للتقصير في تحقيق تلك الأسباب على جنود الإسلام والمسلمين بعامة ؟

منهج البحث:

سلكــت في هذا البحث المنهج التحليلــي الاستقرائي، وذلك بتحليــل النص وبيان مفهومه، ودلائلــه، ومتعلقاته، وتتبــع النصوص المطابقة نصــاً أو مضموناً، والربط بينهــا لتتضح الصورة وتكتمل المنظومة.

خطة البحث:

تشتمل خطة الموضوع على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة

أما المقدمة فهذه

وقد اشتملت على الخطــة، والتمهيد، وسبب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد فيشتمل على ما يلي:

١. القرآن منهج حياة .

٢. أهمية الجمع الموضوعي.

٣. نظرة عامة في سورة الأنفال .

٤. أهمية تحقيق أسباب النصر لتحقق مسبباتها.

وأما المباحث فهي كما يلي:

المبحث الأول: الثبات﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في المراد به.

المطلب الثاني: تحليل المعنى.

المطلب الثالث: آثار الثبات على المجاهدين:

المبحث الثاني: ذكر الله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في المراد به.

المطلب الثاني: تحليل المعنى.

المطلب الثالث: آثار ذكر الله على المجاهدين.

المبحث الثالث: طاعة الله ورسوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في المراد بها.

المطلب الثاني: تحليل المعنى.

المطلب الثالث: آثار الطاعة على المجاهدين .

المبحث الرابع – عدم التنازع ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾.

وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في ذلك.

المطلب الثاني: تحليل المعنى .

المطلب الثالث: آثار عدم التنازع على المجاهدين .

المبحث الخامس: (الصبر) ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في ذلك.

المطلب الثاني: تحليل المعنى.

المطلب الثالث: آثار الصبر على المجاهدين.

المبحث السادس: الإخلاص لله تعالى.

وتحته (ثلاثة مطالب):

المطلب الأول: ذكر أقوال المفسرين:

المطلب الثاني: تحليل المعنى.

المطلب الثالث: آثار الإخلاص في الجهاد.

الخاتمة.

تمهيد

١. القرآن منهج حياة

أنــزل الله تعالــى كتابه الحكيم تبياناً لــكل شيء، وتفصيلاً لكل شــيء، لتنظيم العلائق بين الخلــق والخالــق، وفيما بين الخلائــق، لتتحقق للعباد الحيــاة الكريمة القائمة علــى العلم والعدل والحكمة والرحمة ، سواء في السلم أو الحرب، وعند الاتفاق والائتلاف أو عند الشقاق والخلاف، ومــن ذلك ما يتعلق بكيفية التعامل مع الآخرين حينمــا يقفون في وجه تحقيق مراد الله من عباده بعبادتــه وحــده لا شريك له، والدعــوة إلى ذلك في العالميــن، أو حينما يحــاول الباطل أن يبسط سلطانــه الجائر على أصحاب الحق الآمنين فــي أوطانهم، فيسلب حقوقهم، ويهين كرامتهم، وكل ذلك وفق أطر شرعية محكمة عادلة، ومنهجية محكمة منضبطة، والحمد لله رب العالمين .

٢. أهمية الجمع الموضوعي:

إن من أحسن ما يعين على فهم أي موضوع عالجه القرآن جمع الآيات المتعلقة به ، وتفسيرها تفسيــراً موضوعياً ، يتبين من خلاله أن القــرآن الكريم يصدق بعضه بعضاً ، ويبين بعضه بعضاً، وبــذا تتبين صورة الموضــوع المتكاملة ، ووحدتــه الموضوعية، مما يبني التصــور الصحيح لتلك القضايا، وفهم الحياة بوعي رصين إذ هو مبني على وحي مبارك ، أنزله من له الخلق والأمر ، بياناً للمحجة ، وإقامة للحجة ورحمة للعباد، وسواء أكان هذا الموضوع عقدياً أم عبادياً أم أخلاقياً، أم خبريــاً أم قصصياً، ومن أعظم الموضوعات التي يحتاج فيها إلى الجمع الموضوعي ليتم التصور الصحيــح ، موضــوع (الجهاد في سبيل الله) بأطــره الشرعية وضوابطــه المرعية، وهو ما عالج طرفاً منه هذا البحث الموجز. وبالله التوفيق.

٣. نظرة عامة في سورة الأنفال:

نزلــت ســورة الأنفال فــي أول العهــد المدنــي ، حينمــا أراد الله تعالى تميــز المسلمين في عسكرهــم، وعزتهم في ديارهــم، وذلك يستدعي الاستعــداد للمواجهة الفعليــة لعدوهم بالجهاد والمنازلــة، ولرفع معنويات المؤمنين أراهم الله من عظيــم آياته، وبالغ عزته ما أظهرهم به على عدوهــم العاتــي الصنديــد ، وكان بداية ذلك في وقعة (بــدر الكبرى) وفيها نزلــت سورة الأنفال فجوهــا جو جهاد ، وتبعاته وآثاره ، فجاءت السورة متضمنة أسباب النصر والتمكين ، مبينة حكم الله فيما ينال بعد ذلك من المغانم ، كما تتوسع السورة لتتحدث عن عموم العلاقة مع المشركين ، وأن رغبة الإسلام في المسالمة مقدمة ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال:٦١].

ولكــن ليبقى المؤمنون في عزة ومرهوبي الجانب ، فقد أمر بإعداد القوة المرهبة للأعداء ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ

وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال:٦٠]. فإن أبى الأعداء إلا الإيذاء فقد أذن الله بالمنازلة لإحقاق الحق، وإظهار أهله، وإن كره بعض من لم يتهيؤوا للقتال ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ ﴾ [سورة الأنفال:٧-٨]. وهكذا فغالب السورة يدور حول هذه المضامين، ويبينها ويقررها، بأوضح عبارة، وأقوم سبيل. ولله الحمد والمنة.

٤. أهمية تحقيق أسباب النصر لتحقق مسبباتها.

اقتضت حكمة الله البالغة ربط المسببات بأسبابها، للتربية على العمل والسعي، ولئلا يتكل العباد على قدرة الله فتلك متعلقة بالله لابهم، أما هم فالمتعلق بهم السعي وبذل الأسباب، مع اعتماد القلب بالكلية على رب العالمين سبحانه، ومن ذلك ما يتعلق بأمر الجهاد، وما يراد منه من إظهار الدين وإعزازه وأهله، وإبطال الباطل ودحره وأهله، وفي هذا المجال جاءت الآيات الكريمة، موضوع البحث من سورة الأنفال، لتبين للمسلمين أسباب النصر على الأعداء، وتحثهم على تحقيقها، حثاً مقروناً بالتعليل لتلك الأوامر والتوجيهات أمراً ونهياً، فالوصية بالثبات وذكر الله تختم بـ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأنفال:٤٥]. والنهي عن التنازع يقرن ببيان علته ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]. والأمر بالصبر يقرن ببيان حكمته وهو حصول معية الله المستلزمة للنصر ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]. وحتى عند الأمر بإعداد القوة يبين علة ذلك فيقول ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال:٦٠]. والحمد لله القوي العزيز.

المبحث الأول: الثبات ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في المراد به.

قال الطبري: يقول لهم جل ثناؤه: «يا أيها الذين آمنوا»، صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة منكم.(١)

وقال ابن عطية: هذا أمر بما فيه داعية النصر وسبب العز، وهي وصية من الله متوجهة بحسب التقييد التي في آية الضعف، ويجري مع معنى الآية قول النبي ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا».(٢)

---

(١) تفسير الطبري (١٣: ٥٧٤)

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير: باب صحيح البخاري (٤/ ٥١) باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم

قـال القاضي أبو محمد: وهكـذا ينبغي أن يكون المسلم في ولايـة الإمارة والقضاء لا يطلب ولا يتمنـى، فـإن ابتلي صبر على إقامة الحـق، و (الفئة) الجماعة أصلها فئـوة وهي من فأوت أي جمعت.[1]

وقـد فسر الـرازي الثبات بقولـه: «الثبات وهو أن يوطنـوا أنفسهم على اللقـاء ولا يحدثوها بالتولي».[2]

وقال القرطبي: «(فاثبتوا) أمر بالثبات عند قتال الكفار، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له».[3]

وقـال السعـدي: «(فاثبتـوا) لقتالها، واستعملـوا الصبر وحبـس النفس على هـذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر».[4]

المطلب الثاني: تحليل المعنى:

ذكـر الله مقـام الثبات أول مقومات النصر والفلاح ، وعند التأمل في هذه اللفظة نجد أنها جاءت مطلقة، وبالتالي فهي واسعة المعنى ، شاملة الدلالة إذ تشمل المعاني التالية:

١. ثبات القلب:

وهـو أصل الثبـات؛ إذ القلب ملك الجوارح، وموجهها، وثباته إنما يكـون بأسباب مكتسبة، وأخرى وهبية ربانية، وهما في الحقيقة متلازمان.

فالمكتسبـة بتوفيق الله، ولتوفيق الله وموهبته أسبـاب، فالواجب على العبد أن يحرص على أسباب الثبات، ويعلق قلبه بربه، ويحسن الظن به، فيعمل ما في وسعه، ويسأل الله من واسع فضله.

وبرهان هذا أن الله تعالى مع أمره عباده بالثبات كما في الآية، فقد أمر الملائكة في موضع آخـر أن تثبِـت المؤمنين، وتقوي قلوبهم، وتشد عزائمهم، وفي المقابـل سيوهن هو سبحانه قلوب الأعداء، ويلقي فيها ما يزعزعها ويرعبها، لتضطرب أحوال أصحابها

فقـال ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [سـورة الأنفـال:١٢].

ولمـا علم سبحانـه يقين الصحابة وصدقهم وثباتهم حتى بايعـوا رسول الله ﷺ على الموت عام الحديبيـة، أنزل عليهم السكينة والطمأنينة، وأسبغ عليهم فضله ورضاه فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ

يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (٤ : ٥١) برقم (٢٩٦٦) ومسلم في صحيحه : كتاب الجهاد والسير : باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء (٣ : ١٣٦٢) برقم (١٧٤١)

(١) المحرر الوجيز (٢: ٥٣٦)

(٢) مفاتيح الغيب (١٥: ٤٨٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨: ٢٣)

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١: ٣٢٢)

عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح:١٨].

٢. ثبات الأقدام:

وذلك بمواجهة الأعداء بكل قوة وعزيمة، وثقة تظهر آثارها في ترتيب الصفوف، وتراصها، وتلاحمها، وتمام التنسيق بينها، مما له دلالة قوية على الانضباط والقوة والشجاعة، ويورث الرعب في قلوب الأعداء من جحافل الحق، وهي واقفة بثبات، وانتظام، واستعداد تام، وهذه الحال محببة لله رب العالمين كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [سورة الصف:٤].

ولما لذلك من أثر بالغ في نصر المؤمنين، ووهن الكافرين، أمر الله المؤمنين بالمصابرة عند ملاقاة الأعداء، وشدة التحمل حتى أوجب على المسلم المقاتل في أول الأمر أن يقف لعشرة رجال، ثم خفف ذلك عن عباده فأمر أن يقف لاثنين، ولا يفر من أمامهم إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال:٦٥-٦٦].

وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال:١٥].

ولأن تثبيت الأقدام من أهم مقومات النصر سأله بنو إسرائيل ربهم مع ملكهم طالوت، فقالوا ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٠].

فكانت النتيجة العاجلة ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [سورة البقرة:٢٥١].

٣. ثبات المنهج:

ولعل هذا هو المعول عليه في ثبات القلب والأقدام؛ فمتى كان المنهج سليماً، كان القلب ثابتاً، والأقدام ثابتة، ولا ثبات إلا لمن أوى إلى ركن شديد، واستمد ثباته من ربه ؛ فلزم منهجه والتزم طاعته.

ولعل مما يشير إلى ثبات المنهج قول الله تعالى ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٧٤-٧٥].

وهـو سبـب لكل نجاح كما قـال تعالـى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧].

ومـن هنا وجب أن يكـون القتال في الإسلام لغايـة سامية، ومقصد نبيـل، وهو ما عبر عنه بالرايـة، فاشتـرط للجهـاد في الإسـلام أن يكون تحـت راية شرعيـة صحيحة، إمامهـا شرعي، ومقصدهـا شرعي، فإمامها ولـي الأمر الذي وجب له السمع والطاعـة، ومقصدها أن تكون كلمة الله هي العليا.

وما عدا هذا من المقاصد المخالفة فمخالف لثبات المنهج، وصاحبه متوعد لا موعود، قال ﷺ: «مـن خرج من الطاعة، وفـارق الجماعة، فمات، فميتته جاهلية، ومن خرج من أمتي يضرب برهـا وفاجرهـا، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدها، فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عمية، يدعو للعصبة، أو يغضب للعصبة، أو يقاتل للعصبة، فقتلة جاهلية».[1]

ولما للثبات من أثر في نصر المؤمنين، ودرء الهزيمة عنهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه على الثبات، ويرغبهم فيه، ويبين لهم عظيم موعود الله للثابتين المقبلين، فيقول لأحد أصحابه : «إن قُتلت في سبيل الله صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، كفر الله به خطاياك»[2]

كمـا كان فـي المقابل يحذرهم من الفـرار، لأن ضرره متعدٍ على الجيش الإسلامي، والأمة الإسلامية بعامة فيقول: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وذكر منها: «والتولي يوم الزحف»[3]

المطلب الثالث: آثار الثبات على المجاهدين:

للثبات آثار عظيمة من أهمها ما يلي:

١- نيـل رضى الله وجنتـه كما يدل عليه قوله تعالـى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الصف:٤].

والحديـث المتقـدم «إن قتلت فـي سبيل الله صابـراً محتسباً مقبلا غير مدبـر كفر الله به خطاياك»

٢- تشجيع المجاهدين وتقوية وتثبيت بعضهم بعضاً.

٣- إرهـاب الأعداء وإغاظتهم فذلك مـن أعـظم مظاهر القوة التي تندرج تحت قوله تعالى

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٦: ٢٢٢) وأصله في مسلم في الإمارة: كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة (٣ : ١٤٧٦) برقم (١٨٤٨)

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧ : ٣٠٩) وأصله في مسلم : كتاب الإمارة :باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين : (٣ : ١٥٠١) برقم (١٨٨٥)

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا: باب صحيح البخاري: باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (٤: ١٠) برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها (١: ٩٢) برقم (٨٩).

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٦٠]

٤- النصر على الأعداء كنتيجة للثبات بجميع معانيه.

المبحث الثاني: ذكر الله تعالى ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في ذلك:

يقول الطبري: «واذكروا الله كثيرًا»، يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره.[١]

ويقول ابن عطية: «ثم أمر الله تعالى بإكثار ذكره هنالك، إذ هو عصمة المستنجد، ووزر المستعين، قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونون؛ عند الضراب بالسيوف».

قال القاضي أبو محمد: «وهذا ذكر خفي، لأن رفع الأصوات في موطن القتال رديء مكروه إذا كان إلغاطاً، فأما إن كان من الجمع عند الحملة فحسن فاتّ في عضد العدو».[٢]

ويقول الرازي: «وفي تفسير هذا الذكر قولان:

القول الأول: أن يكونوا بقلوبهم ذاكرين الله، وبألسنتهم ذاكرين الله؛ قال ابن عباس: أمر الله أولياءه بذكره في أشد أحوالهم، تنبيهاً على أن الإنسان لا يجوز أن يخلي قلبه ولسانه عن ذكر الله، ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال سخاء، والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله، كان الذاكر لله أعظم أجراً.

والقول الثاني: أن المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر، لأن ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى».[٣]

وزاد القرطبي قولاً ثالثاً فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٥].

للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٠].

---

(١) (تفسير الطبري (١٣: ٥٧٤)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٥٣٦)

(٣) تفسير الرازي (١٥: ٤٨٩)

وهـذه الحالـة لا تكون إلا عن قـوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهـي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم.

قلـت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجَنان. قال محمد بن كعب القرظي [ت : ١٢٠ هـ]: « لـو رخص لأحد في تـرك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة آل عمران:٤١].

ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٥]».

وقـال قتادة: [ت : ١١٨ هـ]: « افترضـ الله عز وجل ذكره على عباده، أشغل ما يكونون عند الضـراب بالسيـوف. وحكم هذا الذكر أن يكـون خفياً، لأن رفع الصوت فـي مواطن القتال رديء مكـروه إذا كان الذاكر واحداً، فأما إذا كان مـن الجميع عند الحملة فحسن، لأنه يفت في أعضاد العدو.[١]

وقـال الطاهـر بن عاشور [ت : ١٣٩٣هـ]: «وذكر الله، المأمور به هنا: هـو ذكره باللسان، لأنه يتضمن ذكر القلب، وزيادة فإنه إذا ذكر بلسانه فقد ذكر بقلبه وبلسانه، وسمع الذكر بسمعه، وذكـر من يليه بذلك الذكر، ففيه فوائـد زائدة على ذكر القلب المجرد، وقرينة إرادة ذكر اللسان ظاهر وصفه ب «كثير» لأن الذكر بالقلب يوصف بالقوة، والمقصود تذكر أنه الناصر».[٢]

المطلب الثاني: تحليل المعنى:

ذكر الله تعالى من أعظم مقومات النصر على الأعداء ،وهو ينتظم أنواعا من الذكر.

١ - ذكر الله تعالى بالقلب:

بذكر عظمته وجلاله، وعزته وقدرته، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه، والوقوف بين يديه، وذلك كله هو لب الذكر وروحه وبدونه لا يكون للذكر معنى .

وهـو الذي يـورث القلب ليناً وإخباتـاً، وجمعيةً، وإقبـالاً على ربه، وتعلقاً بـه، ورغبةً ورهبةً، ومحبةً وشوقاً، وبالتالي استجابةً وطاعةً، وثباتاً في مواجهة أعداء الله وأعداء دينه.

قال تعالـى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الأنفال:٢].

وقـال ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ

(١) تفسير القرطبي (٨: ٢٤)

(٢) (التحرير والتنوير (١٠: ٣٠)

مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزمر:٢٣].

ومـن فقـد حضور القلب لم ينفعه حركة جسم ولا لسان قال ﷺ «إن الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه »[١]

٢- ذكر الله باللسـان باللهج بتسبيحه، وتحميـده، وتهليله، وتكبيره، ومن ذلك تلاوة القرآن الذي سماه الله تعالى ذكراً في قوله ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۗ﴾ [سورة ص:٤٩].

وقولـه ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه:١٢٤].

والذكـر باللسان هو شعيرة الذكر الظاهرة، التي يترتب عليهـا الثواب، وبقدر جهر الإنسان بالذكر، وعدم استنكافه عنه، بل وتذكيره بربه تعالى – دعوة منه لغيره وأسوة له – يكون ذكر الرب سبحانه لعبده..

وكـم من ألفاظ الذكر لله تعالى ما يزن أعظم الأعمـال، ويؤثر أبلغ الآثار في الذاكر وغيره، ككلمـة التوحيد التي ترجح بالسموات والأرض، والباقيات الصالحات (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

التـي هي خير من الدنيا وما فيها، وغيرها مـن الأذكار التي ترتب عليها أعظم الأجور وأبلغ الآثار.

٣- ذكر الله بالجوارح:

وذلـك بطاعـة الله ، والاستجابة له ، وامتثال أمـره ، فالعبادات البدنية هـي ذكر لله تعالى مذكـرة به، ومـن غاياتها ومقاصدها ذكر الله تعالى ، وقد سمـى الله الصلاة ذكراً فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة:٩]

وجعل من مقاصدها ذكر الله تعالى فقال ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]

قال مجاهد[ت : ١٠٤ هـ]: «إذا صلى ذكر ربه».[٢]

وقـال القرطبي [ت : ٦٧١ هـ]: «وهذا تنبيـه على عظم قدر الصلاة، إذ هي تضرع إلى الله تعالى وقيام بين يديه وعلى هذا فالصلاة هي الذكر».[٣]

قـال أبـو السعـود [ت : ٩٨٢ هـ]: «﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ خُصـت الصـلاةُ بالذكر وأُفـردت بالأمـر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتِها على سائر العبادات بما نيطت به

(١) رواه الترمذي في جامعه: أبواب الدعوات: باب (٦٦) (٥: ٢٩٤) برقم (٣٤٧٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧: ٤٧٩)
(٢) تفسير الطبري (١٨ :٢٨٣)
(٣) (تفسير القرطبي (١٢: ١٧٧)

من ذكر المعبودِ وشُغل القلبِ واللسانِ بذكره ...[1]

قـال السعدي [ت : ١٣٧٦ هـ]: «فشـرع الله للعباد أنواع العبادات التي المقصود منها إقامة ذكر الله وخصوصاً الصلاة».[2]

ولهذا شرع للمجاهدين إقامة الصلاة في حال القتال، بل لا تسقط عنهم بحال حتى في حال المسايفة، لأن ذكر العبد لربه من أسباب معيته ونصره ومعونته، وترك الذكر من أسباب الهلاك والخذلان.

المطلب الثالث: آثار ذكر الله على المجاهدين:

لذكر الله تعالى آثار عظيمة على المجاهدين منها:

١- إن ذكر الله تعالى سبب لنيل معية الله، وذكر الله لعباده ؛ فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة:١٥٢]

وفـي الحديث القدسي «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم»[3] ، ومن ذكره الله نصره ولم يخذله، وأعانه ولم يعن عليه.

٢- إن ذكر الله سبب ثبات، وقوة قلب، ورباطة جأش، وقوة بدن، لذا لما طلبت فاطمة رضي الله عنهـا مـن النبي ﷺ خادماً يعينها ، أرشدها وزوجها إلى ذكـر الله تعالى؛ فقال لها ولزوجها علـي رضي الله عنهمـا: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني ؟ إذا أخذتمـا مضاجعكما أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين ، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين ، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين ، فذلك خير لكما من خادم».[4]

قال ابن القيم رحمه الله: «أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه».[5]

٣- إن ذكـر الله من مكفرات الذنـوب ، والذنوب هي سبب إدالة الأعداء على المسلمين ، إذ هي أعدى أعدائهم قال ﷺ: «إن الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة».[6]

وعن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «وآمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجل

---

(١) تفسير أبي السعود (٦: ٨)

(٢) تفسير السعدي (٥٠٣)

(٣) رواه البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) (٩ : ١٢١) برقم (٧٤٠٥) ومسلم في صحيحه : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب الحث على ذكر الله تعالى (٤: ٢٠٦١) برقم (٢٦٧٥)

(٤) صحيح البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٥: ١٩) برقم (٣٧٠٥).

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب (١: ٧٧)

(٦) رواه الترمذي في أبواب الدعوات: باب (٩٨) (٥: ٤٣٤) برقم (٣٥٣٣) وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨ : ٣٣)

خرج العدو في أثره سراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى».[1]

٤- إن ذكر الله تعالى مرهب للعدو، مزعزع لقلوبهم، مخلخل لصفوفهم، مرعب لهم، وسواء كان الذكر ثناء أو دعاء فله أثره البالغ قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٠].

وكان من شعار المسلمين في بعض الغزوات (حم لا ينصرون)

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن بيتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون»[2]

ولهذا توجيهان عند العلماء منها:

أنه أراد أن يكون هذا شعارهم في الحرب وفي قوله (حم لا ينصرون) خبر كأن المعنى والله لا ينصرون.[3] والله أعلم

وكم دكت كلمات التكبير من حصون ، وكم فرقت من فلول.

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢: ٩١٥) برقم (١٨٩٦) وصححه محققه محمد مصطفى الأعظمي .
ورواه الترمذي في سننه : كتاب الأمثال : باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٤: ٤٤٥) برقم (٢٨٦٣) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦ : ٣٦٣)

(٢) رواه الترمذي في جامعه: أبواب الجهاد: باب ما جاء في الشعار (٣: ٢٤٩) ح (١٦٨٢) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤ : ١٨٢)

(٣) انظر: تحفة الأحوذي (٥ :٢٦٩)

المبحث الثالث: طاعة الله ورسوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في ذلك:

قال الطبري: «أطيعوا، أيها المؤمنون، ربَّكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء»[1]

وقال الرازي [ت: ٦٠٦].: «وأطيعوا الله ورسوله في سائر ما يأمر به، لأن الجهاد لا ينفع إلا مع التمسك بسائر الطاعات».[2]

ويقول أبو السعود ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ «في كل ما تأتون وما تذرون؛ فيندرج فيه ما أمروا به ههنا اندراجاً أولياً».[3]

المطلب الثاني: تحليل المعنى.

يأمر تعالى عباده المجاهدين بأمر جامع، وهو طاعته سبحانه، وهذا عام في كل ما أمر الله به، وإذا كان المؤمن مأموراً بتحري طاعة الله وتقواه في وقت سعة فإنه في وقت المضايق أشد حاجة، ولا يستجلب النصر بمثل طاعة الله ورسوله ، ولا يستدفع البلاء بمثلهما.

ومن طاعة الله ورسوله في هذا الباب:

١- طاعته في نصرته بطاعته ونصر دينه لينالوا نصره لهم، فالجزاء من جنس العمل قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [سورة محمد:٧].

٢- طاعته بالاستعداد للعدو والتأهب له وبذل ما يمكن بذله من الأسباب المادية مع الأسباب المعنوية قال تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

٣- طاعته بما أمر به في هذه الآية وغيرها عند ملاقاة الأعداء من الثبات، وذكر الله تعالى، والصبر والمصابرة، وكذا حسن الانتظام في لقاء العدو لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾ [سورة الصف:٤].

٤- طاعته في السمع والطاعة لولاة الأمر، ومنهم القادة في الحرب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [سورة النساء:٥٩].

وقال النبي ﷺ «من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصِ

(١) تفسير الطبري (١٢: ٥٧٥)

(٢) مفاتيح الغيب (١٥: ٤٨٩)

(٣) تفسير أبي السعود (٤: ٢٥)

الأمير فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى الله»[1]

المبحث الثالث: (آثار طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ على المجاهدين):

لطاعة الله ورسوله ﷺ آثار عظيمة بفضل الله على المجاهدين ومن تلك الآثار:

١- نصرهم على أعدائهم، وإدالتهم عليهم، وتمكينهم منهم، ووقايتهم مما يضرهم، فالجزاء من جنس العمل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [سورة محمد:٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١٢٦﴾ [سورة آل عمران:١٢٦]. وقال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧١].

٢- إمداد الله للمجاهدين بمدد من عنده لا يقهرون وذلك مؤذن بنصر الله تعالى الذي لا مرد له قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةٓ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١٢٦﴾ [سورة آل عمران:١٢٣-١٢٦].

فقد وصف الصحبَ الكرام بالإيمان ، ثم أخبر بولايته لهم ؛ قال جابر رضي الله عنه: فينا نزلت في بني حارثة وبني سلمة ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [سورة آل عمران:١٢٢]. وما يسرني أنها لم تنزل لقوله ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [2]

وتأمل قوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وقوله ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يتبين لك مناط المدد ، وهو تقوى الله والإيمان به وذلك المدد بعض أفراد نصر الله ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧]

٣- ثبات قلوب المجاهدين، ورباطة جأشهم، فمن أوى إلى الله آوى إلى ركن شديد ، ومن اعتز بالله واستنصر به وتوكل عليه ثبت قدمه، وقوى نفسه، فواجه أقرانه بقوة إيمان لا تقهر، وهو فيما بين يديه بين حسنتين إما النصر وإما الشهادة.قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [سورة آل عمران:١٣٩]. ثم قال ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٤٨﴾ [سورة آل عمران:١٤٦-١٤٨].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام: باب قول الله تعالى ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (٤: ٥٠) برقم (٢٩٥٧) ومسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٣: ١٤٦٥) برقم (١٨٣٥).

(٢) (صحيح مسلم :كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (٣ : ١٤٧٧) برقم (١٨٤٨) .

فالإيمـان يدافـع الوهن والحـزن، وسنة الله جارية فيمـن جاهدوا مع أنبيائهـم، واستعانوا بـه، وتوكلوا عليه، وتابـوا، وأنابوا، وسألوه الثبات والنصر، فآتاهـم الله ثواب الدنيا، وحسن ثواب الآخرة.

قـال السعدي: «من النصـر والظفر والغنيمة وحسن ثواب الآخـرة ، وهو الفوز برضى ربهم ، والنعيـم المقيـم الذي قـد سلم من جميـع المنكدات ، ومـا ذاك إلا أنهم أحسنوا لـه الأعمال ، فجازاهم بأحسن الجزاء فلهذا قال ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في عبادة الخالق، ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء كفعل هؤلاء الموصوفين.[1]

المبحث الرابع - عدم التنازع ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في ذلك:

قـال الطبري: «ولا تختلفـوا فتفرقوا وتختلف قلوبكـم «فتفشلوا»، يقـول: فتضعفوا وتجبنوا، «وتذهب ريحكم». أي: وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل».[2]

وقـال القرطبي:» هذا استمرار على الوصية لهـم، والأخذ على أيديهم في اختلافهم في يوم بـدر وتنازعهم. (فتفشلوا) نصـب بالفاء في جواب النهي. .. قـال : (وتذهب ريحكم) أي قوتكم ونصركم، كما تقول: الريح لفلان، إذا كان غالبا في الأمر ...

وقال قتادة وابن زيد: إنه لم يكن نصر قط إلا بريح تهب فتضرب في وجوه الكفار. ومنه قوله عليه السلام: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[3].

المطلب الثاني (تحليل المعنى):

إن من مقاصد الشريعة الاجتماع والائتلاف، ونبذ الافتراق والاختلاف،

فالاجتماع قوة وأمنة ومنعة، والافتراق ضعف، وخوف، وعورة.

لـذا أمر الله تعالى بالاجتماع في غير مـا موضع فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

وجعـل سبحانه تأليف القلوب وما يترتب علـى ذلك من اجتماع وائتلاف من أعظم منن الله تعالى على عباده فقال ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى

(١) تفسير السعدي (١: ١٥١)

(٢) تفسير الطبري (١١: ٢٤١)

(٣) تفسير القرطبي (٨: ٢٤) ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١ : ٧٣) كتاب التيمم (١ : ٧٤) برقم (٣٣٥) ومسلم في صحيحه : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (١ : ٣٧٢) برقم (٥٢٣) .

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنفال:٦٢-٦٣].

ولتحقيق الاجتماع والائتلاف جاءت الشريعة بحزمة من التوجيهات لتحقيق هذا المبدأ العظيم ومن تلك التوجيهات ما يلي:

١- أهمية نصب الولاة فلا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، وحاجة الناس عموماً ماسة جداً إلى من يتولى أمورهم ، ويسوسهم ، وينتظم به عقدهم ، وتقوم مصالحهم.

٢- تنظيم العلاقة بين الراعي والرعية ؛ بتبادل النصح بينهما ، ومعرفة كل منهما بحقوق الآخر وأدائها ، فواجب الولاة القيام بالحق ، وتحقيق العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء:٥٨].

والنصح للرعية ففي الحديث «ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»[١]

وحقهم واجب، بالسمع والطاعة والنصح لهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [سورة النساء:٥٩].

وفي الحديث «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ؛ إلا أن يؤمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»[٢]

٣- التوجيه بعدم الافتيات عليهم، وضرورة الإلتزام بتوجيهاتهم في كل حين، وخصوصاً عند الأزمات ، ومواجهة الأعداء، لأنهم أعلم وأدرى بمصالح أمتهم ، وما يُكاد لها من مؤامرات، من واقع نظرتهم ومصادر معلوماتهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء:٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النور:٦٢].

---

(١) (صحيح مسلم :كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (١ : ١٢٥) برقم (١٤٢)

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٩: ٦٣) برقم (٧١٤٤) ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة: صحيح مسلم (٣ : ١٤٦٥) باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٣ : ١٤٦٩) برقم (١٨٣٩) .

٤- الأمـر بالالتفاف حـول راية ولاة الأمر في الجهاد ، ومراعـاة مسؤوليتهم، والانتظام في سلـك السمـع والطاعة لهم ، ولذلك اشترط العلماء للجهاد وجـود الراية، والمقصود الإمام الذي يقاتل معه على مبدأ شرعي واضح.

ولم يزل أئمة الإسلام منذ عصر النبوة هم الذين يعقدون الألوية، وهم الذين يُستأذنون في الجهاد. فهذا من مقررات شريعتنا.

المطلب الثالث: آثار عدم التنازع على المجاهدين.

لعدم التنازع آثار بالغة على المجاهدين منها:

١- تحقيـق الاجتمـاع والائتـلاف المثمر للقـوة والمنعة ، والعـزة ، المترتـب عليها النجاح والنصر؛ لقولـه تعالـى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٤٦].

ومفهوم ذلك أن عدم التنازع سبب النجاح ، ودارىء للفشل ، دافع له.

٢- رفـع معنويات المجاهديـن ، فالمؤمن قليل بنفسه ، كثير بإخوانه ، وتآلفه مع إخوانه قوة لـه ولهم ، واختلافهم ضعف لهم ، وتأمل ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [سـورة الأنفال:٤٦]. عندما اختلف بعض الصحابة في موقعة أحد بين يدي المعركة.

٣- إرهاب الأعداء ؛ إذ الاجتماع من دواعي القوة التي أمرنا بها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

ولهـا وقع في نفوس الأعـداء ؛ إذ هي مرهبة له مرعبة ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

المبحث الخامس: (الصبر) (واصبروا) وتحته (ثلاثة) مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في ذلك:

يقـول الطبري: «يقول: اصبروا مع نبيّ الله ﷺ عنـد لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه (إن الله مع الصابرين)، يقول: اصبروا فإني معكم».[1]

وقـال الطاهـر بن عاشور:» ثـم أمرهم الله بشيء يعم نفعه المرء فـي نفسه وفي علاقته مع أصحابه، ويسهل عليهم الأمور الأربعة، التي أمروا بها آنفاً في قوله: فاثبتوا واذكروا الله كثيراً وفي قوله:

وأطيعـوا الله ورسوله ولا تنازعوا الآية. ألا وهو الصبر، فقال: واصبروا لأن الصبر هو تحمل المكروه، وما هو شديد على النفس، وتلك المأمورات كلها تحتاج إلى تحمل المكاره، فالصبر يجمع تحمل الشدائد والمصاعب، ولذلك كان قوله: واصبروا بمنزلة التذييل.

وقوله: إن الله مع الصابرين إيماء إلى منفعة للصبر إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها.

وجملة إن الله مع الصابرين قائمة مقام التعليل للأمر...»[2]

المطلب الثاني: (تحليل المعنى):

يأمـر الله عباده بالصبر، وهو مفتاح النصر فمن صبر ظفر، وعنوان الشجاعة، فالشجاعة صبر ساعة، كما يقال، وهو ينتظم انواعاً من الصبر وهي:

١- الصبـر علـى طاعة الله، ومنها مـا يناسب الحـال، ويقتضيه السياق وهـو الصبر على الجهـاد، ومكابدتـه، وآثاره كما قال الله تعالـى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سـورة البقرة: ٢١٦]. ومما يهونه على النفوس استشعـار فضله وحسن عاقبته، وأنه من أمر الله وشرعه.

٢- الصبـر عن المعصية، ومنها ما يناسـب الحال أيضاً، وهو الصبر عن الفرار وقد أوجب الله فـي آخـر الأمرين للجندي المسلـم مصابرة اثنين مثله في السلاح والعتـاد وعدم الفرار من أمامهـم. وإلا بـاء بالإثـم، قـال تعالـى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأنفال: ٦٦].

وقـال تعالـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴿١٥﴾

(١) تفسير الطبري (١٣: ٥٧٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٠: ٣٢).

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال:١٥-١٦].

٣- الصبر على أقدار الله المؤلمة وعدم الجزع أو التسخط ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٣٩-١٤٠].

وقال: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة النساء:١٠٤].

ومما يهون المصاب برد الاحتساب، وموعود الله

قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩-١٧١].

المطلب الثالث (الآثار الإيجابية للصبر في الجهاد):

للصبر آثار عظيمة على المجاهدين فمنها:

١- تحقيق النصر لترتب الفلاح عليه في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠]. وأظهر مظاهر الفلاح في الجهاد النصر على الأعداء، مع قول من أمر بالبيان ﷺ «واعلم أن النصر مع الصبر»[1].

٢- نيل معية الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى في الآية موضع البحث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ومن كان الله معه فلا غالب له، بل هو المؤيد المنصور.

٣- أن الصبر سبب لنيل الجنة كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٤٢].

٤- أن بالصبر التعرض لنعم لا حصر لها، بشر الله بها الصابرين كما يدل عليه حذف المعمول في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٥٥].

٥- أن الصبر دلالة إيمان وكماله، بالرضى عن الرحمن سبحانه.

٦- قال ابن القيم رحمه الله: «والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو ثلاثة

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥: ١٩) برقم (٢٨٠٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٥ : ٤٩٦)

أنـواع: صبر على فرائض الله فلا يضيعها، وصبر عن محارمه، فـلا يرتكبها وصبر على أقضيته وأقـداره، فلا يتسخطها، ومن استكمل هذه المراتب الثلاث، استكمل الصبر، ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر فيهما، لا يصل إليه أحد إلا على جسر الصبر، كما لا يصل أحد إلى الجنة إلا على الصراط، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أدركناه بالصبر)، وإذا تأملت مراتـب الكمال المكتسب في العالم، رأيتها كلها منوطـة بالصبر، وإذا تأملت النقصان الذي يذم صاحبـه عليه، ويدخـل تحت قدرته، رأيته كله من عدم الصبر، فالشجاعة والعفة، والجود والإيثار كله صبر ساعة».[1]

وقـال فـي مدارج السالكيـن: وَهُوَ وَاجِـبٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّـةِ. وَهُوَ نِصْـفُ الْإِيمَانِ. فَـإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفُ صَبْرٍ، وَنِصْفُ شُكْرٍ.

وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ نَوْعًا. ثم ذكرها بأدلتها.[2]

المبحث السادس: الإخلاص لله تعالى.

وهـو مستفاد من قوله تعالـى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة الأنفال:٤٧].

وتحته (ثلاثة مطالب):

المطلب الأول: ذكر أقوال المفسرين:

قال الطبري رحمه الله في تفسيره:» وهذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملـوا عمـلاً إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهـم إلـى بدر طلبَ رئاء الناس....فقالـوا: «والله لا نرجع حتى ننزل بـدرًا، فنقيم فيه ثلاث ليـالٍ، ويرانا من غَشِينـا من أهل الحجاز، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا». وهم الذين قال الله: «الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس»، والتقوا هم والنبيّ ﷺ، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر، وشفى صدور المؤمنين منهم».[3]

وقـال ابـن كثيـر :» يقول تعالى بعد أمـره المؤمنيـن بالإخلاص في القتال فـي سبيله وكثرة ذكره، ناهيا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم (بطراً) أي: دفعا للحق، (ورئاء الناس) وهـو: المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل -لما قيـل له: إن العير قد نجا فارجعوا -فقـال: لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، وننحر الجـزور، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحـدث العـرب بمكاننا فيها يومنا أبداً، فانعكس ذلك عليه أجمع؛ لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٥١)

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ : ١٥١)

(٣) تفسير الطبري: (١٣: ٥٧٩)

بـه الحمـام، ورموا في أطـواء بدر مهانين أذلاء، صغـرة أشقياء في عذاب سرمـدي أبدي؛ ولهذا قـال: (والله بما يعملون محيـط) أي: عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم على ذلك شر الجزاء لهم».[1]

المطلب الثاني: تحليل المعنى:

هـذه الآية نهي للمجاهدين عن أن تكون حالهـم كحال المرائين الذين مثالهم الماثل للعيان كفار قريش، لما بغوا وطغوا، وتكبروا وتجبروا، وراموا رياء وفخراً ومقصداً سيئاً من قتالهم ، وهو الصد عن سبيل الله فتزينوا بالرذائل، وتخلوا عن الفضائل، فباءوا بأرذل المنازل.

ومفهوم هذا النهي أمر المجاهدين بالإخلاص لله في جهادهم، فإنه أعظم مقومات النصر والظفـر في العاجـل والآجل؛ فالنصر إنما هو مـن عند الله سبحانه، وما عنـد الله لا يستنزل إلا بطاعته وطاعته ملاكها الإخلاص.

ولمـا ذكر الله تعالـى حال المؤمنين فـي تعلق قلوبهم بربهـم، واستغاثتهم بـه، وذاك دليل إخلاصهـم لـه، وتعلق قلوبهم به وحده سبحانه ؛ ذكر ثمرة ذلك من النصر العاجل والتأييد فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٩-١٠].

وقـال : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٢٣-١٢٥].

والأجـر والثـواب في القتـال إنما هو للمخلصيـن دون غيرهم؛ لذا لما سئـل النبي ﷺ عن مقاصـد النـاس ونياتهم في الجهاد، مَن منهم يظفر بأجر المجاهد في سبيل الله، ويكون إن عاش عزيـزاً سعيداً، وإن قتل مرحومـاً شهيداً ؟ قال قولاً جزلاً، فصلاً، جامعـاً مانعا: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) كما ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنـه، قال: قال أعرابـي للنبي ﷺ: الرجل يقاتل للمغنم، والرجـل يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه، من في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل، لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»[2]

لهـذا لا يقطـع لقتيل في الحـرب بالشهادة وإن قتل بيـن الصفين، لأن مبنـى الشهادة على الإخلاص، وأصـل الإخلاص في القلـوب، ولا يعلم ما في القلوب إلا عـلام الغيوب سبحانه، ولكنا نرجـو للمحسن الثواب، والله بصير بالعباد، ولذا بوب البخاري في صحيحه بـ (باب لا يقول فلان

(١) تفسير ابن كثير (٤: ٧٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس: باب من قاتل للمغنم، هل ينقص من أجره (٤: ٨٦) برقم (٣١٢٦)

شهيـد) وأورد تحتـه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عـن النبي ﷺ: «الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله»[1]

عـن أبي أمامـة الباهلي قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له» فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه»[2]

المطلب الثالث: آثار الإخلاص في الجهاد.

للإخلاص آثار عظيمة لعظمة مقتضياتها ومنها:

١- الاجتهاد في الجهاد، والإقبال عليه، والثبات والإقدام؛ فإن قدر الطلب على قدر المطلوب، وهو وجه الرب سبحانه ورضاه، وإعلاء كلمته، ونصرته، وما يترتب على ذلك من رحمته ومغفرته، ودخول جنته، ونيل مرضاته.

٢- النصر والتأييد من الرب الكريم سبحانه، فمن توكل على الله كفاه، ومن تعلق به أعطاه وأغناه.

٣- تحمـل المشاق في ذات الله، والتسلي عن المصائب بثوابها، وحسن عاقبتها؛ فلا يطفئ حـر المصـاب إلا بـرد الاحتساب، واعتبر هـذا بقول الله تعالـى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة النساء:١٠٤].

فاتحد الألم ، وامتاز المخلصون بحسن الرجاء ، والله لا يخلف الميعاد.

٤- علـو الهمـة، والعفة عند المغنم، والترفع عـن الدنايا من غلول أو تشـاح أو تشاحن عند قسمتها؛ لأنها ليست همته ولا غايته، وهي نفل كما سماها الله أي زيادة على ما كتب الله للمجاهد من الأجر والثواب، فليست هي الغاية في البداية ولا النهاية.

٥- نيل الأجر العظيم، والثواب الجزيل من الله تعالى، وحسن العاقبة منه سبحانه؛ فإن قُتل قُتل شهيداً، وإن لم يُقتل عاش عزيزاً سعيداً.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه :كتاب الجهاد والسير : باب من يجرح في سبيل الله عز وجل (٤ : ١٨) برقم (٢٨٠٣) ومسلم في صحيحه : كتاب الإمارة :باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٣ : ١٤٩٦) برقم (١٨٧٦) .

(٢) رواه النسائي في الكبرى: كتاب الجهاد: من غزا يلتمس الأجر والذكر (٤: ٢٨٦) برقم (٤٣٣٣)
وجود إسناده الحافظ في الفتح (٦ : ٢٨) ، وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٧ : ٢١٢): حسن صحيح

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسالات؛ وبعد:

ففي خاتمة هذا البحث أخلص للنتائج الآتية:

١- أن للنصر أسباباً ومقومات لابد من تحقيقها، فإن تحقق المسبب منوط بتحقيق السبب، وكل ذلك بفضل الله وتوفيقه، وسنته الجارية في خلقه من ربط المسببات بأسبابها،

٢- حيث إنه من المتقرر في عقيدة المؤمنين أن النصر من عند الله وحده؛ فالواجب على الأمة بعمومها عند مواجهة أعدائها أن تتفقد أسباب نصرها وعزها؛ فتسعى لتحقيقها، ليحقق الله لهم موعوده الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [سورة محمد:٧].

٣- أن أعدى أعداء الأمة ينبع من داخلتها ، بضعف تدينها وامتثالها ، أو باختلافها وتقصيرها، فتخار قوتها، ويدال عليها أعداؤها.

٤- أهمية، بل ضرورة غرس هذه المفاهيم والمبادئ والقيم في نفوس الأمة بعامة ، ومجاهديها بخاصة.

٥- الاستمرار في الدراسات التشخيصية لأسباب تخلف الأمة وضعفها، وإدالة أعدائها عليها من خلال البحوث الأكاديمية، والدراسات المتخصصة النظرية، والميدانية، والتطبيقية.

وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع

(التحريـر والتنوير): الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي - الدار التونسية للنشر - تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

إرشـاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسيـر أبي السعود) - أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى - دار إحياء التراث العربي - بيروت

تحفـة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبـد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى - دار الكتب العلمية - بيروت.

تفسيـر القـرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيـر القرشي - تحقيق: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

تيسيـر الكريم الرحمن في تفسيـر كلام المنان (تفسير السعدي) عبـد الرحمن بن ناصر السعـدي - تحقيـق: عبد الرحمن بن معـلا اللويحق - الناشر: مؤسسة الرسالـة - لطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري - تحقيق أحمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

جامـع بيان العلـم وفضله - أبو عمـر يوسف بن عبـد الله النمري القرطبـي - تحقيق: أبي الأشبال الزهيري - دار ابن الجوزي - الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الجامـع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) محمد بـن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي - تحقيـق: أحمد البردونـي وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

سنـن الترمـذي: محمـد بن عيسى بن سَـوْرة الترمـذي - بشار عواد معـروف - دار الغرب الإسلامي - بيروت - سنة النشر: ١٩٩٨ م.

السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي - تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي - مؤسسة الرسالة – بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

صحيـح ابن خزيمة- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمـة النيسابوري - تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت.

صحيـح البخـاري (الجامع المسنـد الصحيح المختصـر من أمور رسـول الله ﷺ وسننه وأيامـه) - محمـد بـن إسماعيل البخـاري - تحقيق: محمد زهيـر بن ناصر الناصـر - دار طوق النجاة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

صحيـح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العـدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) -

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري - تحقيق محمد فؤاد عبد - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الطب النبوي: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - دار الهلال - بيروت.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي -تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية — تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م،

مسند الإمام أحمد - أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون- مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري -دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - تحقيق: سيد إبراهيم - دار الحديث — القاهرة - الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م